واستولى على فارس ، وكرمان ، وخوزستان (عربستان) ، ومازندران ، واسترابـاد[١] . بعد ذلك توجه الشاه إسماعيل إلى جهة الشرق إلى خراسان واستولى عليها سنة (٩١٦هـ) واستولى على مدينة مشهد . وفي نفس السنة توجه إلى مرو شمال شرق إيران وذبح أكثر من عشرة آلاف من سكانها من أهل السُّنَّة لأنهم رفضوا التشيّع[٢] .

ثم حاول أن يمتد إلى بلاد الأوزبك سنة (٩١٨هـ) وأرسل أحد قواده ولكنه انهزم وقُتِلَ قائده وضعفت جبهته في هذه المنطقة وهجم عليه الأوزبك وكادوا يسترجعون خراسان لكنها بقيت في قبضة الشاه إسماعيل .

دخول الشاه إسماعيل العراق واستيلاؤه على بغداد

من المعلوم للجميع أن بغداد عاصمة الدولة العباسية سقطت بيد المغول سنة (٦٥٦هـ) ، وبعدها حكم العراق المغول وسميت دولتهم

---

(١) **فارس** : هي المنطقة التي تقابل الخليج العربي من الجهة الثانية ، **وأما كرمان** : فهي بين باكستان وإقليم فارس المذكور . **أما خوزستان** : فهي عربستان وهي معروفة شمال الخليج العربي مقابل مدينة البصرة العراقية وأشهر مدنها مصفى عبدان والمحمرة ، **أما مازندران** : فهي شمال شرقي طهران جنوب شرق بحر قزوين ، **وأما استراباد** : فهي شمال طهران جنوب بحر قزوين غربي مازندران أي هو سيطر على غربي وجنوب وشمال إيران الحالية ، مبتدءاً دولته من إقليم أذربيجان شمال إيران .

(٢) « إيران دراسة عامة » د . محمد وصفي أبو مغلي (ص٢٤٧) .

(الإليخانية) إلى أن تسلّم الجلائريون ثم دول التركمان « قرا قونيلو » ثم « آق قونيلو » التي بدأ حكمها منذ سنة (٨٠٦هـ)وكان آخر حكامها (سلطان مراد) الذي حكم سنة (٩٠٣هـ) وفي سنة (٩١٤هـ) أراد الشاه إسماعيل احتلال بغداد فأرسل قائده (حسين بك لاله) وانهزم والي بغداد التركماني « باريك » ، ويومها استبشر « نقيب النجف » المدعو (محمد كمونة) بعد أن كان والي بغداد « باريك » قد حبسه لأنه كان ينتظر قدوم جيش الشاه ، ويؤمل ويخدع أهالي بغداد والعراق بأن الشاه إسماعيل سلطان عادل ، والناس (في بغداد وبقية العراق) في اضطراب وقلّة أمان تبحث عمّن يوفّر لهم ذلك .

لما دخل (حسين بك لاله) بغداد دون قتال أخرج (محمد كمونة) من السجن ورحّب به وعظمه ، وذهبا هو والوالي إلى الشاه إسماعيل في إيران ليبشّروه بفتح بغداد[١] .

وقدم الشاه إسماعيل بغداد وكرم (محمد كمونه) وأعلى مقامه ثم زار مدينتي كربلاء والنجف وأكرم أهلها وعمّرها بالذهب والفرش

---

(١) هكذا حال الشيعة في العراق وبغداد قديماً يستقبلون الفرس الشيعة ، وهذا ما حصل عندما قام محمد باقر الصدر بمراسلة خميني بعد ثورته سنة ١٩٧٩م وأخبره أنه ينتظر قدومه الى بغداد ، وظل عند شيعة العراق ولاء للإيرانيين واضح في كل العصور ، وفي يومنا هذا تجد كل شيعة العراق والبحرين ولبنان والسعودية ، كل هؤلاء ولاؤهم لإيران ، هذا الأمر المفضوح أدى بالرئيس المصري حسني مبارك أن يقول : إن ولاء الشيعة في البلاد العربية لإيران . وهو لم يذكر إلا ظاهرة لا يستطيع أحد إنكارها .

والسجاد الثمين . ثم أدّب بعض عشائر الجنوب[١] .

هذه هي خلاصة تحركاته في العراق .

وعودة إلى ما فعله الشاه إسماعيل ببغداد وأهلها ، فأهل بغداد (السُّنَّة) لم يقاوموا الشاه ؛ لأن (محمد كمونه) أخبرهم بعدله وكان لاضطراب الأوضاع في زمن « آق قونيلو » دافعا لأهل بغداد كي يتمنوا ظهور حاكم جديد ينقذهم مما هم فيه ، ولكن الشاه إسماعيل أمر قائده (حسين بك لاله) بتهديم مدينة بغداد وقتل أهل السُّنَّة سيما الصلحاء منهم ، حتى توجّه إلى مقابر أهل السُّنَّة ونبش قبور الموتى وأحرق عظامهم .

وبدأ يعذب أهل السُّنَّة ويذيقهم سوء العذاب بأيديهم أو يسلمهم للشيعة ليسلبوا أموالهم ثم يقتلونهم محاولا أن يحولهم للتشيّع ، وهدم مسجد أبي حنيفة النعمان في مدينة الأعظمية ، ونكّل ونبش قبره ، وهدم المدارس العلمية للحنفية وهدم كثيراً من المساجد[٢] وقتل كل

---

(١) كان أكثر عشائر الجنوب العراقي سُنَّة آنذاك إلا أهالي مدينتي كربلاء والنجف وبعض أهالي مدينة الحلة ومناطق متفرقة ، وأكثر عشائر الجنوب العراقي ووسطه سُنَّة على مذهب المالكية والحنفية والشافعية ، ولنا بحثٌ نسأل الله أن ييسر نشره في (تاريخ تشيّع العشائر العراقية العربية) والذي واكب ظهور الدولة الصفوية وما بعدها .

(٢) انظر : « تاريخ الأعظمية » ، وليد الأعظمي (١١٣) ، والشيعة في كل أوقاتهم يكرهون السُّنَّة ويكفرونهم ويلعنون بشكل خاص أبي حنيفة النعمان ، وما أشبه الليلة بالبارحة فها هو اليوم « جيش المهدي » و « قوات بدر » وبالاستعانة بحكومة الجعفري والمالكي يقصفون مسجد أبي حنيفة في مدينة الأعظمية في بغداد بقذائف الهاون .

من ينتسب لذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه في بغداد لمجرد أنهم من نَسَبِه ، وقتلهم قِتلة قاسية[١] .

وقد أرَّخَ الشيعة في ذلك الزمان لهذه الحادثة حتى قال أحد مورخيهم المدعو ابن شدقم في كتابه « تحفة الأزهار وزلال الأنهار » وقد طبع في إيران في اربع مجلدات « فَتَحَ بغداد وفَعَلَ بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حتى نَبَشَ موتاهم من القبور » .

هكذا يسمّي أهل السُّنَّة النواصب ، بمجرد أنهم لا يؤمنون بعقائد الشيعة ، فهم نواصب يستحقون القتل[٢] .

---

(١) كُتب الشيعة منذ القديم تحمل حقداً خاصاً لخالد بن الوليد (سيف الله المسلول) ، وقد ردّ ابن تيمية في « منهاج السُّنَّة » شبهاتهم حوله ، ويبدو أن ثقافة الشاه إسماعيل الشيعية جيدة فنفّذ كل حقده بقتل كل من ينتسب لهذا الصحابي الجليل والقائد العظيم سيف الله المسلول ، وقبل أيام قام الشيعة بمثل ذلك ؛ ففجروا في البصرة أثرًا تاريخيًا يعود للزبير بن العوام رضي الله عنه ابن صفية عمة رسول الله ﷺ ـ واليوم عاد أذناب الشيعة بمصر للحملة على خالد بن الوليد ـ وبعد ذلك بمدة فجروا ضريح طلحة بن عبيد الله الصحابي الجليل .

(٢) للشيعة فنٌّ عجيب في تسخير المصطلحات لتأجيج الرأي العام الشيعي ضد أهل السُّنَّة . فانظر هنا إلى قوله « النواصب » فهذا مصطلح أطلقه أهل السُّنَّة على فرقة برزت في الشام في القرن الثاني والثالث للهجرة تُبْغِضُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد انقرضت ولا يوجد مسلم سُنّي يُبْغِضُ علياً في يومنا هذا ، بل حب علي سُنَّة وبغضه فسق وبدعة ، هذا هو معتقد كل أهل السُّنَّة . أما الشيعة فيعنون بـ « النواصب » =

ولم تكن أفكار الشاه إسماعيل من عنده بل ساعده على ذلك علماء الشيعة لأنه استقطب العلماء من كل مكان من لبنان والنجف وغيره من المناطق ، وهم من شارك بتأجيج الحقد الدفين على أهل السُّنَّة ، بعبارة أصح أين ما وجدت الطائفية فستجد علماء الدين الشيعة وراءها . وقد فرّ كثير من سُنَّة بغداد من المدينة للنجاة وممن هرب الأسرة الكيلانية ـ بعد أن خرّب الشاه إسماعيل قبر عبد القادر ـ إلى الشام ومصر وأخبروا العالم الإسلامي ما فَعَلَ الصفويون الشيعة ببغداد وأهلها[١] .

وصلت أخبار المذبحة العظيمة لأهل السُّنَّة إلى اسماع الدولة العثمانية في الأناضول ، إضافة إلى أخباره السابقة عن تشيع أهل السُّنَّة

= كل من لم يؤمن بأن علياً ولياً منصّب من الله بعد رسول الله ، وهذا ما لم يؤمن به أهل السُّنَّة ، و هذا فأهل السُّنَّة كلهم نواصب . والشيعة كتبهم مليئة بتكفير النواصب وأنهم شرّ من اليهود والنصارى ، ويجب قتلهم ، وهذا ما حصل قديماً ، ويحصل اليوم . وارجع إلى الصحف والمجلات الشيعية في العراق وإلى قنواتهم الفضائية كقناة « الفرات » التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية بقيادة عبد العزيز الحكيم ، حيث يصف أهل السُّنَّة بـ « النواصب » حتى يستحق قتلهم شرعاً « شرع الشيعة » . وقد ألّفَ صديقنا الفاضل عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي كتابا قيما سماه « موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين » طبع حديثًا بمصر بمكتبة الرضوان سنة ٢٠٠٥م ضمنه فصلا رائعا صفحة ٣٠٧ بعنوان : « عرض لأبرز أساليب الإمامية » .

(١) أخبار أفعال الشاه إسماعيل ببغداد منثورة في كتب التاريخ السُّنّي والشيعي وغيرهما ، وانظر : « العراق بين احتلالين » للمؤرخ عباس العزاوي ، و « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » ، ستيفن لونكريك وغيرهما .

في إيران وقَتل الآلاف المؤلَّفة ، أضف إلى ذلك جسارة الشاه إسماعيل إلى إرسال دعوته إلى داخل الدولة العثمانية ؛ لذا اجتمع السلطان العثماني سليم الأول في عام (٩٢٠هـ/١٥١٤م) برجال الدولة وقضاتها وعلمائها ورجال السياسة ، وقرروا أن الدولة الصفوية تمثل خطراً على العالم الإسلامي بشكل عام ؛ وعلى الدولة العثمانية بشكل خاص ، فقرر السلطان إعلان الجهاد المقدس ضد هذه الدولة ، واستبقها بالأعمال الآتية :

١- أرسل السلطان العثماني سليم رسائل للشاه إسماعيل الصفوي بلهجة حادّة .

٢- طهّر بلاده (تركيا) من الشيعة التابعين للشاه الصفوي ؛ لأنهم أصبحوا يمثلون طابوراً خامسا للشاه .

ولما لم يستجب الشاه إسماعيل لدعوة السلطان سليم الأول بالتسليم قرر السلطان السير بالجيش بقيادته مستعيناً ببقايا أسرة « آق قونيلو »[1] ، عندما سمع الشاه إسماعيل بذلك لجأ إلى حيلة لتأخير الحرب إلى فصل الشتاء ؛ كي يهلك الجيش العثماني جوعاً وبرداً ولكن السلطان مراد استمرَّ بزحفه حتى أحسّ الشاه إسماعيل بالخطر فطلب الهدنة ولكن السلطان

(١) هذه أسرة شيعية عريقة تنتسب لآل البيت ، وقد مر كيف خان جدهم « محمد كمونة » البلاد ، وكيف لاقى مصيره ، وليعرف أهل بغداد أصولهم ولا ينخدعوا بأصول عوائل كان أجدادهم خونة للأمة ، كما فعل اليوم « أحمد الجلبي » وغيره ممن مهد على احتلال العراق وأرسل معلومات مزورة عن بلده كي يحتلوه .

استمرَّ في الزحف إلى صحراء جالديران شمال تبريز حتى وصلها سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) وسحق الجيش الصفوي الشيعي على أرضه ، وفرّ الشاه إسماعيل تاركاً كل أمواله ، وأُسِرَتْ زوجته ، وقُتِلَ الخائن « محمد كمونه » السابق ذِكْرُه والذي ذهب مع الشاه إلى تبريز وهكذا هزم الشاه إسماعيل واهتزت صورته أمام جيشه القزلباشية كما سبق ذِكْرُه ولكن بقيت بغداد تحت احتلال الصفويين .

شَعَر الشاه إسماعيل بالضَعف وشرع بالبحث عن صديق ليتعاون معه ضد العثمانيين ، وكان للبرتغاليين الصولة العظمى في بلاد العرب ، وخاصة طموحهم للاستيلاء على منطقة الخليج العربي ، بواسطة أسطولهم في بحر العرب والخليج العربي فاستطاع قائدهم « البوكيرك » الاستيلاء على مضيق هرمز .

كلّ هذه الأمور أغرت الشاه إسماعيل لإجراء اتفاقيات وأحلاف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية ، وقد كان لأمه « مارتا » وجدته لأمه « تيودورا » اليونانية النصرانية تأثيراً واضحاً في ذلك الحلف[١] .

وسننقل نص رسالة أرسلها « البوكيرك » إلى الشاه إسماعيل الصفوي جاء فيها :

---

(١) تأثير زواج الخلفاء والقيادات الإسلامية من النصرانيات على الأمة واضح ، وبهذه المناسبة نذكر أن جدّة محمد باقر الحكيم وأخوه عبد العزيز الحكيم يقال أنها (بولندية أو رومانية) ، و قيل يهودية وقيل نصرانية ، والمسألة تحتاج إلى تحرير وتحقيق .

« إني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك[١] ، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند ، وإذا أردت أن تنقضّ على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر ، أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة ، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد »[٢] .

وفعلاً تمّ التحالف مع النصارى البرتغاليين وأقرّهم الشاه إسماعيل باستيلائهم على هرمز مقابل مساعدة الشاه على احتلال البحرين والقطيف . كما اتفق على مشروع لتقسيم المشرق العربي ، بأن يحتلّ الصفويون مصر والبرتغاليون فلسطين[٣] .

ولكن هذا الحلم لم يتحقق – ولله الحمد – والفضل بعد الله في

---

(١) نفس ما تفعله جمهورية إيران الإسلامية حيث تحترم غير المسلمين (المجوس ، اليهود ، النصارى) ، وتقيم لهم المعابد إلا أهل السُّنَّة في إيران فهم الأسوأ حالاً والأقل مساجد ومع هذا تنادي بالتقريب مع السُّنَّة خارج إيران .

(٢) « قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين » (ص٦٣) ، د . زكريا إبراهيم بيومي ، (١٤١١/١٩٩١) ، عالم المعرفة .

(٣) **الدولة الصفوية** : هي أول دولة شيعية إمامية كبيرة النفوذ ، إذ أن دول الشيعة السابقة ؛ إما شيعة إسماعيلية كالفاطميين ، أو شيعة زيدية (جارودية) كالبويهيين ، وليلاحظ القارئ أن الدولة الصفوية هي أول دولة شيعية فارسية اتفقت على فكرة بيع فلسطين للغرب .

ذلك للعثمانيين[١] ؛ لأن الدولة العثمانية كشفت المراسلات بين الدولة الصفوية والمماليك للتآمر لاحتلال مصر ، فسارعت لدخول مصر وقضت على المماليك رغم أن هذا الفتح لمصر هو أحد أسباب تأخير السلطان سليم عن القضاء على الشاه إسماعيل ودولته[٢] ، كما أن البرتغاليين سيطروا على البحر العربي والخليج العربي .

عاش الشاه إسماعيل في همدان ثم عاد إلى تبريز بعد وفاة السلطان العثماني سنة (٩٢٦هـ/١٥٢٠م) ولكنه هلك سنة (٩٣٠هـ/١٥٢٤م) .

مستحدثات العصر الصفوي

استحدث الشاه إسماعيل بدعاً في المذهب الشيعي أصبحت فيما بعد من المسلّمات عند الشيعة ، نذكر منها :

١ـ **السبّ المقترن بالاضطهاد الطائفي** ؛ فقد اتخذ من سبِّ الخلفاء الراشدين الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين ، وأمر بأن يعلن السبّ في الشوارع والأسواق وعلى المنابر[٣] . والسبّ والقذف

---

(١) « قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين » (ص٦٣) .

(٢) « الشعوب الإسلامية » د . عبد العزيز سليمان نوار ، دار النهضة العربية ، ١٩٩١م .

(٣) كل الشيعة اليوم ، سواء في إيران والعراق ولبنان والبحرين والسعودية والكويت وباكستان وغيرها من البلاد التي يتواجد فيها الشيعة ، كلهم يسبون ويلعنون في سب الخلفاء الثلاثة وبقية الصحابة وأمهات المؤمنين . فإذا تمكنوا كما فعلوا في العراق فإنهم يجبرون من يعذبونهم من أهل السُّنّة على السَّب ، وهذا ما يفعل في الدوائر الأمنية في إيران مع سُنّة إيران ، وفي العراق اليوم اعترف أحد الشيعة العلمانيين أن فيلق بدر =